آيات بيِّنات في بيت اللّه الحرام

في ضوء قوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) [آل عمران:٩٦]

د. شافع ذيبان الحريري
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك،
كلية التربية (نزوى)، وزارة التعليم العالي
سلطنة عمان

الخلاصة

بيت الله الحرام هو أول بيت وضع للعبادة، فليس في الأرض موضع بناه الأنبياء أقدم منه، ويتبع هذا أولوية الشرف والتعظيم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمرن: ٩٦].

ساقت العناية الإلهية إبراهيم ﵇ ليرفع القواعد من البيت، ويجدد معالمه، ويعدّه لاستقبال الرسالة التي بدأها، حيث يتم تمامها، وتبلغ غايتها، على يد آخر المرسلين من أبنائه، محمد ﷺ.

وهذا البيت مبارك كثير الخيرات بالرغم من كونه في واد غير ذي زرع، وهو مصدر هداية للناس، يتجه إليه الحجاج والمعتمرون، وتهواه الأفئدة، ويزحف إليه الملايين من الناس، مشاة وركباناً، ويأتون إليه من كل فج عميق.

وهو حرام منذ أن خلق الله السّموات والأرض، وإلى يوم القيامة لا يحل القتال فيه، ولا يعضد شجره، ولا ينفّر صيده، ولا تلتقط لقطته، ولا يختلى خلاه. ومن آياته:

– أنه أقدم بنية لله على هذه الأرض، ومع ذلك ظل محتفظاً بوجوده، ويجد عنده من يلوذ به من طير أو حيوان أو إنسان، الأمن والسلامة.

– ومقام إبراهيم، والحجر الأسود، وأي ركن من البيت وقع الغيث في مقابله كان الخصب فيما يليه من البلاد.

– والصفا والمروة، ونبع زمزم، وامتناع الطير من العلو عليه، وإمحاق الجمار على كثرة الرامي من لدن إبراهيم إلى يومنا هذا.

– وتعجيل العقوبة لمن رامه بسوء، كما حصل لأصحاب الفيل، ومؤاخذة من يلحد فيه، ولو بالإرادة.

ABSTRACT

The Sacred House of Allah was the first house assigned for worshiping Allah on earth. Divine Providence guided Abraham (Peace be upon him) to raise the foundations of the House and carry out some renovations. This House is blessed with much glory. It is a source of guidance for people; hearts are inclined towards it and people come to visit it from all parts of the world (through deep and distant mountain highways). It is sacred (revered) until the Day of Judgment since Allah the Almighty created the heavens and earth. Fighting is not allowed in its precincts, its trees should not be uprooted, its quarries should not be disturbed, and whoever enters it shall feel safe (attain security).

It is distinguished by the fact that it is the oldest building of Allah on earth. Nonetheless it has been preserved and whoever takes shelter in it will find safety and peace. Other signs include: the Station of Abraham; the Black Stone and; it is said that whichever corner of the House receives rain, fertility (superabundance) will become common to all the land that lies next to that corner. There are further signs of its sacredness such as Safa and Marwa, the Zamzam Well (the birds never fly over it), the disappearance of stones despite the large number of people who have thrown these stones since the days of Abraham until this day, the fast punishment of whoever has evil intent towards it such as the Companions of the Elephant, and finally punishing whoever commits a wrongdoing in it, especially when wrongdoing is premeditated.

المقدمة

إن أول بيوت العبادة الصحيحة التي بناها الأنبياء، هو البيت الحرام الذي بمكة، وهو أول بيت وضع للناس في هذه الأرض، ليكون مصدر الخير والبركة، ومعلَم الهدى والنور للناس أجمعين، قال تعالى:) إِنَ أَولَ بيت وضع ِللناسِ لَلذي بِبكةَ مباركاً وهدى ِللعالِمين ([آل عمران: ٩٦].

وهذا البيت، كان مصلى إبراهيم ومقامه، ساقته العناية الإلهية إليه، ليرفع قواعده، ويجدد معالمه، ويعده لاستقبال الرسالة التي بدأها، حيث يتم تمامها، وتبلغ غايتها على يد آخر المرسلين من أبنائه، وهو محمد عليه الصلاة والسلام. ﴿وإِذْ يرفَع إِبراهيم القَواعد من البيت وإِسماعيلُ ربنَا تَقَبلْ منا ِإنك َأنْتَ السميع العليم﴾ [البقرة: ١٢٧].

وفي هذا البحث محاولة اجتهادية لاستقراء الآيات البينات في بيت الله الحرام، من خلال السياق القرآني - بفهم علماء التفسير - ومن خلال السياق التاريخي؛ لما أجمع عليه العرب في تعظيم البيت، وتقديسهم له، ولما تناقلوه فيما بينهم- بطريق التواتر- بخصوص العلامات الواضحات في شرف البيت، وحرمته، وكريم فضله.

وقد قسمت الدراسة إلى مبحثين، وخاتمة، على الشكل الآتي:

المبحث الأول: دراسة تاريخية عن البيت الحرام. تناولت فيه الخلاف التاريخي في أول من بنى الكعبة، والمقصود بأول بيت وضع للناس، وتخليد القرآن الكريم لمكة بذكر أسماء مختلفة لها، في عدة مواضع منه. كما وبينت المراد بالبيت الحرام، وتعرضت إلى ذكر بعضٍ من مزاياه وفضله.

المبحث الثاني: آيات بينات في بيت الله الحرام.

جمعت فيه اثنتي عشرة آية، كل واحدة منها دالة على بركة هذا البيت، وحرمته، وعظيم فضله.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم وأبرز النقاط التي توصلت إليها من خلال البحث.

والله أسأل أن يأخذ بأيدينا إلى الصواب، ويجلّي لنا الموقف للوصول إلى الحقيقة، ولخدمة دينه، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

المبحث الأول: دراسة تاريخية عن البيت الحرام

أولاً: الخلاف في أول من بنى الكعبة.

يرى كثير من العلماء والمفسرين أن إبراهيم عليه السلام لم يكن هو أول من أنشأ البيت وأقامه، فهو أقدم من إبراهيم عليه السلام بأزمان بعيدة، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وعهدنَا إِلى إِبراهيم وإِسماعيلَ أَن طَهرا بيتي لِلطائِفين والعاكفين والركعِ السجود﴾ [البقرة: ١٢٥]. ففي قوله تعالى:) وعهدنَا إِلى إِبراهيم وإِسماعيلَ أَن طَهرا (إشارة إلى أنه كان بيتاً لله قبل أن يعهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل بتطهيره من الأوثان التي عبدها العابدون فيه. ثم يقول تعالى:) وإِذْ يرفَع إِبراهيم القَواعد من البيت وإِسماعيلُ...﴾[البقرة: ١٢٧]. وفي هذا إشارة أخرى إلى أن البيت كان قائماً على قواعد، وأنها كانت إلى عهد إبراهيم وإسماعيل قد تهدمت، فكان عمل إبراهيم وإسماعيل فيها هو إقامتها على أصولها التي كانت عليها⁽¹⁾.

وكذلك استدل أصحاب هذا الرأي بقوله سبحانه وتعالى:) وإِذْ بوأنَا لِإبراهيم مكان البيت أَن لا تُشْرِك بِي شَيئًا وطَهّر بيتي لِلطاآِئفين والقَآئِمين والركعِ السجود ([الحج:٢٦]. ومعنى (بوأنا): بينا له مكان البيت⁽²⁾. وهذا على اعتبار القول في أن البيت كان مبنياً ثم اندرس بطوفان نوح عليه السلام، أو بفعل السيول الجارفة التي هدمته فيما بعد.

واستدلوا بما رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن ابن عباس قال: "لما مر النبي ﷺ بوادي عسفان حين حج قال: يا أبا بكر، أي واد هذا؟ قال: وادي عسفان، قال: لقد مر به هود، وصالح ﵉ على بكرات(٣) حمر، خطمها(٤) الليف، وأزرهم(٥)العباء، وأرديتهم(٦)النمار(٧)، يلبون يحجون البيت "(٨).

وقد ورد في بعض الآثار أن أول من بنى البيت الملائكة، وقد بنوه قبل آدم﵇ بألفي عام، ثم بناه آدم، ثم شيث، ثم إبراهيم، ثم العمالقة، ثم جرهم، ثم قصي، ثم قريش، ثم عبد الله بن الزبير، ثم الحجاج، واستمر بناء الحجاج إلى الآن، إلا في الميزاب والباب والعتبة، ووقع الترميم في الجدار والسقف غير مرة (٩).

قال ابن عطية: "ورويت في هذا أن الكعبة كانت مبنية قبل إبراهيم ﵇ أقاصيص أسانيدها ضعاف فلذلك تركها " (١٠).

أما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر الغفاري ﵁ أنه قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال:" المسجِد الحرام، قُلْتُ: ثم أَي؟ قَالَ: المسجِد الأَقْصى، قُلْتُ: كم بينَهما؟ قَالَ: أَربعون سنَة" (١١). فإنه يشكل على ما اشتهر من أن باني المسجد الأقصى هو سليمان بن داود ﵇ وبين إبراهيم وبين سليمان ما يقرب الألف سنة؟!، وقد روى النسائي بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال:" إن سليمان بن داود لما بنى البيت المقدس، سأل الله عز وجل خلالاً ثلاثاً: سأل الله عز وجل حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد، لا ينهزه – أي لا يدفعه – إلا الصلاة فيه، أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه فأوتيه" (١٢).

روى مسلم في صحيحه، عن أبي ذر ﵁ أنه قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال:" المسجِد الحرام، قُلْتُ: ثم أَي؟ قَالَ: المسجِد الأَقْصى، قُلْتُ: كم بينَهما؟ قَالَ: أَربعون سنَة "(١٣).

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: فاستشكله العلماء بأن بين إبراهيم وسليمان قروناً فكيف تكون أربعين سنة، وأجاب بعضهم بإمكان أن يكون إبراهيم بنى مسجداً في موضع بيت المقدس ثم درس فجدده سليمان(١٤).

وقال القرطبي: وقد روي أن أول من بنى البيت آدم عليه السلام فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس من بعده بأربعين عاما، ويجوز أن تكون الملائكة أيضا بنته بعد بنائها البيت بإذن الله، وكل محتمل، والله أعلم(١٥).

ويرجح الرازي وغيره من المفسرين، القول بأن الكعبة كانت موجودة في زمان آدم عليه السلام ويدال على ذلك بأربعة وجوه:

الأول: أن تكليف الصلاة كان في دين جميع الأنبياء عليهم السلام، بدليل قوله تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا)[مريم:٥٨].

فدلت الآية على أن جميع الأنبياء عليهم السلام كانوا يسجدون لله، والسجدة لابد لها من قبلة، فلو كانت قبلة شيث وإدريس ونوح عليهم السلام موضعا آخر سوى القبلة لبطل قوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة) (آل عمران/٦٩) فوجب أن يقال: إن قبلة أولئك الأنبياء المتقدمين هي الكعبة، فدل هذا على أن هذه الجهة كانت أبدا مشرفة مكرمة.

الثاني: أن الله تعالى سمى مكة أم القرى. وظاهر هذا يقتضي أنها كانت سابقة على سائر البقاع في الفضل والشرف منذ كانت موجودة.

الثالث: روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم فتح مكة:" إلا إن الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض".(١٦) وتحريم مكة لا يمكن أن يكون إلا بعد وجود الكعبة.

الرابع: الآثار التي حكيناها عن الصحابة والتابعين دالة على أنها كانت موجودة قبل زمان إبراهيم عليه السلام(١٧).

ويرى جمهور آخر من العلماء والمفسرين على أن أول من بنى الكعبة هو الخليل إبراهيم، ومعاونه ابنه إسماعيل _ عليهما الصلاة السلام_ وقد كان مكان البيت ربوة عالية مشرفة على ما حولها، معروفة للملائكة، ولمن سبق من الأنبياء، ـ وبقعة مشرفة معظمة من قديم الزمان، حتى جاء الخليل، فأسس قواعده وبناه. واستدلوا على ذلك بالآيات نفسها التي استدل بها الفريق الأول ولكن برؤية وتفسير مغايرين لما ذهبوا إليه، وبما يدال على أن إبراهيم عليه السلام، هو أول من بنى الكعبة واستندوا كذلك إلى ما ورد في صحيح البخاري من إسكان إبراهيم الخليل هاجر وابنها عند البيت، وقصة نبع زمزم، وقصة بناء البيت، نقتصر منها على ما يتعلق ببناء البيت.

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قال: قال النبي ﷺ: "يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم -أو قال: لو لم تغرف من الماء- لكانت زمزم عيناً معيناً". قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن ها هنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله. وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله... قال ابن عباس: ثم لبث إبراهيم عليه السلام عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر أن أبني ها هنا بيتاً –وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها- قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني. حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان:) ربنَا تَقَبّلْ منا إنكَ أَنْتَ السميع العليم﴾ [البقرة: ١٢٧] (١٨).

ويرى أصحاب المذهب الثاني، أن الروايات التي رويت في أن بناء البيت كان سابقاً لإبراهيم عليه السلام، أغلبها موقوفة على بعض الصحابة والتابعين، رواها أصحاب التواريخ كالأزرقي والفاكهي، وبعض المفسرين والمحدثين الذين لا يلتزمون إخراج الأحاديث الصحاح والحسان(١٩).

قال ابن كثير: ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك بهذا بقوله (مكان البيت)(٢٠) فليس بناهض، ولا ظاهر، لأن المراد مكانه المقدر في علم الله المقرر في قدرته، المعظّم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم(٢١).

وقال في موضع آخر: ولا ينافي ما رجحناه وذهبنا إليه ما رواه الإمام أحمد في مسنده بسند حسن عن ابن عباس قال: حج رسول الله ﷺ فلما أتى وادي عسفان قال يا أبا بكر أي واد هذا؟ قال هذا وادي عسفان، قال: لقد مر نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حمر، خطمها الليف وأزرهم العباء، وأرديتهم النمار يلبون يحجون البيت)(٢٢)، لأن المقصود الحج إلى محله، وبقعته المعروفة، وإن لم يكن ثَم بناء(٢٣).

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: (ولا شك أن الكعبة بناها إبراهيم، وقد تعدد في القرآن ذكر ذلك)(٢٤).

وبعد عرض لهذا الخلاف يمكننا أن نصل إلى نتيجة مفادها التقريب بين وجهتي النظر، والجمع بين القولين على أساس ما ذهب إليه الشوكاني في تفسيره حيث قال:

(وقد اختلف في الباني له في الابتداء، فقيل: الملائكة. وقيل: آدم، وقيل: إبراهيم، ويجمع بين ذلك بأول من بناه الملائكة، ثم جدده آدم، ثم إبراهيم) (٢٥).

ثانياً: أسماء مكة في القرآن الكريم.

وبكة لغة في مكة، فإن العرب تعاقب بين الباء والميم، كما في قولهم: ضربة لازب، لازم. وهي علم للبلد الحرام، وكذا مكة، وهما لغتان(٢٦). وهي مشتقة من البك وهو الإزدحام، يقال: بك الناس بعضهم بعضاً، أي: دفع. واختلفوا في تسميتها ببكة على ثلاثة أقوال:

الأول: لازدحام الناس بها، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والفراء، ومقاتل.

والثاني: لأنها تبك أعناق الجبابرة، أي تدقها، فلم يقصدها جبارٌ إلا قصمه الله، روي عن عبد الله بن الزبير، وذكره الزجاج.

والثالث: لأنها تضع من نخوة المتجبرين، يقال: بككت الرجل أي وضعت منه، ورددت نخوته، قاله أبو عبد الرحمن اليزيدي، وقطرب.

واتفقوا على أن مكة اسم لجميع البلدة. واختلفوا في بكة على أربعة أقوال:

الأول: أنه اسم للبقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو مالك، وإبراهيم، وعطية.

والثاني: أنها ما حول البيت، ومكة ما وراء ذلك، قاله عكرمة.

والثالث: أنها المسجد والبيت. ومكة اسم للحرم كله، قاله الزهري وضمرة بن حبيب.

والرابع: أن بكة هي مكة، قاله الضحاك، وابن قتيبة(٢٧).

وقد انفردت مكة عن سائر مدن وبلاد العالم كلها بتسميات كثيرة وتعريفات مختلفة، سماها الله تعالى بها، فمنها:

بكة: وقد وردت في القرآن الكريم في آية واحدة:) إِنَّ أَوَّلَ بيت وضع ِللناسِ لَلذي بِبكةَ مباركاً وهدى ِللعالمِين ﴾ [آل عمران: ٩٦].

ومكة: وردت في آية واحدة أيضاً، قال تعالى: ﴿وهو الذي كَف أَيديهم عنْكُم وَأيديكُم عنْهم ببطْنِ مكةَ من بعد أَن أَظْفَرَكُم عليهم، وكان الله بما تَعملُون بصيراً﴾ [الفتح: ٢٤].

وأم القرى: وردت في آيتين: ﴿وهذَا كتَابٌ أَنْزلْنَاه مباركٌ مصدقُ الذي بين يديه ولِتُنْذر أُم القُرى ومن حولها والذين يؤْمنُون بِالآخرة يؤْمنُون به وهم على صلاتهم يحافظُون﴾[الأنعام: ٩٢] ﴿وكَذَلِك أَوحينَا إِلَيك قُرآناً عربياً لِتُنْذر أُم القُرى ومن حولها وتُنْذر يوم الجمع لا ريب فيه فَرِيقٌ في الجنة وفَرِيقٌ في السعير﴾ [الشورى: ٧].

سميت بذلك لأنها قبلة أهل القرى ومحجهم، وأعظم القرى شأناً، ولأنها بمثابة الأم وسائر القرى عيال عليها.

قال الشوكاني: "وخص أم القرى وهي مكة، لكونها أعظم القرى شأناً، ولكونها أول بيت وضع للناس، ولكونها قبلة هذه الأمة، ومحل حجهم، فالإنذار لأهلها مستتبع لإنذار سائر أهل الأرض والمراد بمن حولها: جميع أهل الأرض" (٢٨).

والبلدة: ذكرت في القرآن الكريم بهذا الاسم مرة واحدة: ﴿إنما أُمرتُ أَن أَعبد رب هذه البلْدة الذي حرمها وله كُل شَيء وأُمرتُ أَن أَكُون من المسلمين﴾ [النمل: ٩١].

والبلد الأمين: ذكرت في القرآن مرة: ﴿والتينِ والزيتُونِ * وطُورِ سينين * وهذَا البلَد الأَمينِ ﴾ [التين: ١-٣].

والبلد: بدون إضافة، ذكرت في القرآن أربع مرات، مرتين في سورة البلد، وسميت السورة باسمها: ﴿لا أُقْسم بهذَا البلَد * وأَنْتَ حلٌّ بهذَا البلَد﴾ [البلد: ١-٢]

ومرة في سورة البقرة: ﴿وإِذْ قَالَ إِبراهيم رب اجعل هذَا بلَداً آمناً وارزقْ أَهلَه من الثمرات﴾ [البقرة:١٢٦].

ومرة في سورة إبراهيم: ﴿ وإِذْ قَالَ إِبراهيم رب اجعل هذَا البلَد آمناً واجنُبني وبني أَن نَعبد الأَصنَام﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ثالثاً: المراد بالبيت الحرام.

والمراد بالبيت الحرام، الحرم كله، لأن الآيات المذكورة في قوله تعالى:) فيه آياتٌ بينَاتٌ مقَام إِبراهيم ومن دخَلَه كَان آمناً﴾[آل عمران:٩٦] موجودة في جمع الحرم.

قال القاضي أبو يعلى: والمراد بالبيت هاهنا: الحرم كله، لأن هذه الآيات موجودة فيه، ومقام إبراهيم ليس في البيت والآية في مقام إبراهيم أنه قام على حجر فأثرت قدماه فيه، فكان ذلك دليلاً على قدرة الله، وصدق إبراهيم(٢٩).

وقال أبو بكر الرازي: لما كانت الآيات المذكورة عقب قوله) إِنَّ أَوَّلَ بيت وضع لِلناس﴾ موجودة في الحرم، ثم قال:) ومن دخَلَه كان آمناً (وجب أن يكون مراده جميع الحرم(٣٠).

وقال ابن عطية: واختلاف الناس في ﴿مقَام إِبراهيم﴾، فقال الجمهور: هو الحجر المعروف، وقال قوم: البيت كله مقام إبراهيم لأنه بناه وقام في جميع أقطاره، وقال آخرون من العلماء: مكة كلها مقام إبراهيم، وقال قوم: الحرم كله مقام إبراهيم، والضمير في قوله: ﴿ومن دخَلَه﴾ عائد على الحرم في قول من قال: مقام إبراهيم هو الحرم، وعائد على البيت في قول الجمهور، إذ لم يتقدم ذكر لغيره، إلا أن المعنى يفهم منه أن من دخل الحرم فهو في الأمن، إذ الحرم جزء من البيت، إذ هو بسببه ولحرمته(٣١).

وقال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ومن دخَلَه كان آمناً﴾يعني حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء، وكذلك كان الأمر في حالة الجاهلية(٣٢).

رابعاً: مزايا البيت وفضائله.

ذكر الواحدي في كتابه (أسباب النزول) عن مجاهد أنه قال: تفاخر المسلمون واليهود فقالت: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة، لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة، وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل. فأنزل الله تعالى (إن أول بيت وضع للناس) (٣٣).

ومن صفات هذا البيت ومزاياه، أنه مبارك وهدى للعالمين إضافة إلى كونه أقدم بنية، وأول بيت وضع للناس للعبادة. فأما بركته، ففيه تغفر الذنوب، وتضاعف الحسنات، ويأمن من دخله، وحصول الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله.

روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عمر عن النبي ﷺأنه قال: ((سمعتُ النبي ﷺيقُولُ: ما رفَع رجلٌ قَدما، ولا وضعها إلا كُتبتْ له عشْر حسنَات، وحط عنْه عشْر سيئَات، ورفع لَه عشْر درجات)) (٣٤).

والصلاة فيه، بمئة ألف صلاة في غيره، فعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: " صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام"(٣٥).

قال الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: و(مباركاً) أي جعلت البركة فيه بجعل الله تعالى، إذ قدر أن يكون داخله مثاباً ومحصلا على خير يبلغه على مبلغ نيته، وقدر لمجاوريه وسكان بلده أن يكونوا ببركة زيادة الثواب ورفاهية الحال، وأمر بجعل داخله آمناً، وقدر ذلك بين الناس فكان ذلك كله بركة، ومن بركة ذاته أن حجارته وضعتها عند بنائه يد إبراهيم، ويد إسماعيل، ثم يد محمد ﷺ، ولاسيما الحجر الأسود(٣٦).

وقال الشيخ المراغي: تطلق البركة على معنيين، أحدهما: النمو والزيادة. وثانيهما: البقاء والدوام كما يقال تبارك الله(٣٧).

قال ابن العربي: والصحيح أنه مبارك من كل وجه من وجوه الدنيا والآخرة، وذلك بجميعه موجود فيه(٣٨).

والبركة والهداية من الفضائل الحسية والمعنوية(٣٩):

أما الأولى: فهي أنه قد أفيض عليه من بركات الأرض وثمرات كل شيء مع كونه بواد غير ذي زرع، كما قال تعالى: ﴿يجبى إِلَيه ثمراتُ كُل شَيء﴾ [القصص: ٥٧]، فترى الأقوات والثمار ومنتجات الدنيا في مكة كثيرة وجيدة، وهو أيضاً كثير البركة في الثواب والأجر، ففيه تضاعف الحسنات ويستجاب الدعاء.

وأما الثانية: فلأن القلوب تهوي إليه، ويأتي الناس مشاة وركباناً من كل فج عميق، لأداء مناسك الحج والعمرة، ويولّون وجوههم شطره في صلاتهم، وربما لا تمضي ساعة من ليل أو نهار إلا وهناك ناس يتوجهون إليه، ولا شك أن هذه الهداية من أشرف أنواع الهدايات.

وكل هذا ببركة دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿ربنَا إِني أَسكَنْتُ من ذُريتي بِواد غَيرِ ذي زرعٍ عنْد بيتك المحرمِ ربنَا لِيقيموا الصلاةَ فَاجعلْ أَفْئِدةً من الناسِ تهوِي إِلَيهِم وارزقْهم من الثَّمرات لَعلهم يشْكُرون﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقد أجاب الله دعاء إبراهيم: ﴿وأَذن في الناسِ بِالحج يأْتُوك رِجالاً وعلَى كُل ضامرٍ يأْتين من كُل فَجٍ عميق﴾ [الحج: ٢٧].

قال الشيخ الطاهر بن عاشور: وجعل هدى للعالمين كلهم، لأن شهرته، وتسامع الناس به، يحملهم على التساؤل عن سبب وضعه، وأنه لتوحيد الله، وتطهير النفوس من خبث الشرك، فيهتدي بذلك المهتدي، ويرعوي المتشكك(٤٠).

المبحث الثاني: الآيات البينات في بيت الله الحرام

إن البيت الحرام قبلة المسلمين في الصلاة والدعاء، وهو أول بيت وضع معبداً للناس، وهي أولية زمان، تستتبع أولية الشرف والمكان، وهو مصدر هداية للناس، يتجه إليه المصلون، وتهواه الأفئدة، تتضاعف فيه الحسنات، وفيه آيات واضحات. قال تعالى:) إِنَّ أَولَ بيت وضع لِلناسِ لَلذي بِبكةَ مباركاً وهدى لِلعالَمِين * فيه آياتٌ بينَاتٌ مقَام إِبراهيم ومن دخَلَه كان آمناً ولِلهِ علَى الناسِ حج البيت منِ استَطَاع إِلَيه سبِيلاً ومن كفَر فَإِن الله غَنيٌّ عنِ العالمين﴾[آل عمران: ٩٦،٩٧].

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري) فيه آياتٌ بينَاتٌ (على جمع آية، بمعنى: فيه علامات بينات، وأصح القراءتين في ذلك قراءة من قرأ) فيه آياتٌ بينَاتٌ (على الجمع، لإجماع قراء أمصار المسلمين على أن ذلك هي القراءة الصحيحة دون غيرها(٤١).

وقال ابن عطية: الضمير في قوله (فيه) عائد على البيت، وساغ ذلك مع كون الآيات خارجة عنه لأن البيت إنما وضع بحرمه وجميع فضائله، فهي فيه وإن لم تكن داخل جدرانه، وقرأ جمهور الناس) آياتٌ بينَاتٌ (بالجمع، وقرأ أبي بن كعب وعمر وابن عباس) آيةٌ بينَةٌ (على الإفراد ويحتمل أن يراد بالآية اسم الجنس فيقرب من معنى القراءة الأولى، والمرجح عندي أن المقام وأمن الداخل جعلا مثلاً مما في حرم الله من الآيات، وخصا بالذكر لعظمها، وأنهما تقوم بهما الحجة على الكفار، إذ هم مدركون لهاتين الآيتين بحواسهم(٤٢).

وقال الخازن: فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله(٤٣).

وقال ابن جرير الطبري بعد أن ناقش الأقوال في تفسير الآيات البينات: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قول من قال: الآيات البينات منهن مقام إبراهيم، وهو قول قتادة، ومجاهد، الذي رواه معمر عنهما، فيكون الكلام مراداً فيهن (منهن)، فترك ذكره اكتفاء بدلالة الكلام عليها(٤٤).

وقال الرازي: يجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوي ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات، وأنه قيل: فيه آيات بينات مقام إبراهيم، وأمن من دخله، وكثير سواهما(٤٥).

وقد تتبعت ما ذكره المفسرون في تعيين الآيات البينات في بيت الله الحرام فوجدتها كالآتي:

الأولى: أول بيت وأقدم بنية: بيت الله الحرام، أول بيت وأقدم بنية وضعت لعبادة الله على هذه الأرض، ومع ذلك ظل محتفظاً بوجوده، لم تذهب به الأحداث، ولم يأت عليه الزمن كما أتى على آثار الأولين، وهو لا يزداد مع الأزمان إلا وضوحاً ورسوخاً، حتى في عهود الضلال والوثنية.

كان له في قلوب الوثنيين وفي عقولهم من الإجلال والتقديس ماله في قلوب المؤمنين وعقولهم؛ من إجلال وإكبار وتقديس!

وقد سبق في المدخل أن ذكرنا طرفاً من اختلاف أهل التأويل في الأولية المذكورة للبيت، والمقصود إثبات سبق الكعبة في الوجود قبل بيوت أُخر من نوعها.

وظاهر الآية أن الكعبة أول البيوت المبنية في الأرض، فتمسك بهذا الظاهر مجاهد، وقتادة، والسدي، وجماعة، فقالوا: هي أول بناء، وكانت مبنية من عهد آدم عليه السلام ثم درست، فجددها إبراهيم(٤٦).

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك: ما قال جلّ ثناؤه فيه: إن أول بيت مبارك وهدى وضع للناس، للذي ببكة. ومعنى ذلك: إن أول بيت وضع للناس: أي لعبادة الله فيه مباركاً وهدى، يعني بذلك ومآباً لنسك الناسكين وطواف الطائفين، تعظيماً لله وإجلالاً له؛ للذي ببكة، لصحة الخبر(٤٧) بذلك عن الرسول ﷺ(٤٨).

الثانية: مقام إبراهيم عليه السلام: اختلف أهل التأويل في تأويل (مقَام إبراهيم) على قولين(٤٩):

أحدهما: أنه الحجر المعهود، وإنما جعل آية للناس؛ لأنه جماد صلد وقف عليه إبراهيم، فأظهر الله فيه أثر قدميه آية باقية إلى يوم القيامة.

الثاني: قال ابن عباس: (مقَام إبراهيم) هو الحج كله.

وبعد أن عرض الطبري الأقوال في مقام إبراهيم عليه السلام، رجح الأول فقال: وأولى هذه لأقوال بالصواب عندنا ما قاله القائلون إن مقام إبراهيم: هو المقام المعروف بهذا الاسم، الذي هو في المسجد الحرام(٥٠).

وقد روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب: قلت يا رسول الله، لو اتخذت المقام مصلى(٥١)؟ فأنزل الله: ﴿واتخذُوا من مقَام إبراهيم مصلى﴾.

والآية في ذلك، أن قدمي إبراهيم عليه السلام دخلتا في حجر صلد بقدرة الله عز وجل، عندما وقف عليه وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة، ليكون ذلك آية ودلالة على توحيد الله، وصدق نبوة إبراهيم عليه السلام. والعرب تعرف ذلك بالنقل المتواتر جيلاً عن جيل، ويدل عليه أثر قدميه الشريفتين على الحجر.

قال الألوسي: وصح بيان الجمع بالمفرد بناء على اشتمال المقام على آيات متعددة، لأن أثر القدمين في الصخرة الصماء آية، وغوصهما فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض هذا النوع دون بعض آية، وإبقاؤه على ممر الزمان آية، وحفظه من الأعداء آية، أو على أن هذه الآية الواحدة لظهور شأنها وقوة دلالتها على قدرة الله تعالى ونبوة إبراهيم عليه السلام منزلة آيات كثيرة(٥٢).

الثالثة: ﴿ومن دخَلَه كان آمناً﴾ [آل عمران: ٩٧]: قال ابن عطية: والضمير في قوله: (ومن دخَلَه) عائد على الحرم في قول من قال مقام إبراهيم هو الحرم، وعائد على البيت في قول الجمهور، إذ لم يتقدم ذكر لغيره، إلا أن المعنى يفهم منه أن من دخل الحرم فهو في الأمن، إذ الحرم جزء من البيت، إذ هو بسببه ولحرمته.

واختلف الناس في معنى قوله (كان آمناً): فقال الحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم: هذه وصف حال كانت في الجاهلية أن الذي يجر جريرة ثم يدخل الحرم، فإنه كان لا يتناول ولا يطلب، فأما في الإسلام، وأمن جميع الأقطار، فإن الحرم لا يمنع من حد من حدود الله، من سرق فيه قطع، ومن زنى رجم، ومن قتل قُتل. واستحسن كثير ممن قال هذا القول أن يخرج من وجب عليه القتل إلى الحل فيقتل هناك.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: من أحدث حدثاً ثم استجار بالبيت فهو آمن، وإن الأمن في الإسلام كما كان في الجاهلية، والإسلام زاد البيت شرفاً وتوقيراً، فلا يعرض أحد بمكة لقاتل وليه، إلا أنه يجب على المسلمين ألا يبايعوا ذلك الجاني ولا يكلموه ولا يؤوه حتى يتبرم فيخرج من الحرم فيقام عليه الحد(٥٣).

وقيل من دخله معظماً له متقرباً بذلك إلى الله تعالى كان آمناً من العذاب يوم القيامة(٥٤).

وقد رجح الطبري - بعد أن ذكر الأقوال في تفسير الآية- بقوله: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، قول من قال: ومن دخله من غيره ممن لجأ إليه عائذاً به كان آمناً ما كان فيه، ولكنه يخرج منه فيقام عليه الحد إن كان أصاب ما يستوجبه في غيره ثم لجأ إليه، وإن كان أصابه فيه أقيم عليه فيه(٥٥).

قال القاضي أبو يعلى:) ومن دخَلَه كان آمناً (لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، وتقديره: ومن دخله فأمنوه، وهو عام فيمن جنى جناية قبل دخوله، وفيمن جنى فيه بعد دخوله، إلا أن الإجماع انعقد على أن من جنى فيه لا يؤمن، لأنه هتك حرمة الحرم، ورد الأمان، فبقي حكم الآية فيمن جنى خارجاً منه ثم لجأ إلى الحرم(٥٦). وقد اختلف الفقهاء في ذلك على أقوال:

الأول: قال أحمد في رواية المروزي: إذا قتل، أو قطع يداً، أو أتى حداً في غير الحرم، ثم دخله، لم يقم عليه الحد، ولم يقتص منه، ولكن لا يبايع ولا يشارى، ولا يؤاكل حتى يخرج، فإن فعل شيئاً من ذلك في الحرم، استوفي منه. وقال أحمد في رواية: إذا قتل خارج الحرم، ثم دخله، لم يقتل. وإن كانت الجناية دون النفس، فإنه يقام عليه الحد، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه.

الثاني: قال مالك والشافعي: يقام عليه جميع ذلك في النفس، وفيما دون النفس(٥٧).

ومن دخل الحرم كان آمناً على نفسه وماله من أي اعتداء وإيذاء، فلا يسفك فيه دم حرام، ولا يقتل الشخص فيه ولو كان مطلوباً للثأر أو القصاص، لقوله تعالى: ﴿أولم يروا أَنا جعلْنَا حرماً آمناً ويتَخَطفُ الناس من حولهم﴾[العنكبوت:٦٧]، وقوله: ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً﴾[القصص:٥٧]، وقوله: ﴿وإِذْ جعلْنَا البيتَ مثَابةً لِلناسِ وأَمناً﴾[البقرة: ١٢٥]. عن ابن عمر ﵁ قال: "لو وجدت قاتل عمر في الحرم ما هجته"(٥٨).

والعرب جميعاً قد اتفقوا على احترامه وتعظيمه، فمن دخله أمن على نفسه من الاعتداء والإيذاء، وأمن أن يسفك دمه أو تستباح حرماته ما دام فيه، وقد مضوا على ذلك الأجيال الطوال في الجاهلية على كثرة ما بينهم من الأحقاد والضغائن، واختلاف المنازع والأهواء، وقد أقر الإسلام هذا، وكل ذلك بفضل دعوة إبراهيم ﴿رب اجعل هذَا بلَداً آمناً ﴾[البقرة: ١٢٦].

وفتح مكة بالسيف كان لضرورة تطهير البيت من الشرك وتخصيصه للعبادة؛ فقد حلت للنبي ﷺ ساعة من نهار لم تحل لأحد قبله، ولن تحل لأحد بعده كما جاء في الحديث.

على أن حلّ مكة وما يتبعها من أرباضها للنبي ﷺ ساعة من نهار أمر زائد على أمن البيت، فإن النبي ﷺ لم يستحل البيت ساعة ولا ما دونها، بل كان مناديه ينادي:" من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن"(٥٩).

وقد أخبر أبو سفيان النبي ﷺ بقول سعد بن عبادة الأنصاري حامل اللواء له في الطريق: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فقال ﷺ: ((كذب سعد، هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة)) (٦٠).

وما فعله الحجاج من رمي البيت بالمنجنيق، فهو شذوذ لم يقره عليه أحد، ولم يعتقد أحد حل ما فعل بابن الزبير، وإنما هو ظلم وإلحاد فيه: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾[الحج:٢٥].

وأما بعض حوادث الاعتداء على الأنفس والأموال فهو فعل الفجار الفساق الذين لم يرعوا لله حرمته في كعبة ولا غيرها.

وأما ما أجازه الإمامان مالك والشافعي من الاقتصاص من القاتل عمداً في الحرم كله فهو عقوبة حق وعدل أمر بها القرآن الكريم، لا تجاوز فيها على أحد.

واتفق أهل العلم(٦١) على أنه إذا قاتل أحد في الحرم قتل، قال الله تعالى: ﴿ ولا تُقَاتِلُوهم عنْدَ المسجِدِ الحرامِ حتى يقَاتِلُوكُم فيه فَإِن قَاتَلُوكُم فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]، ففرق بين الجاني في الحرم وبين الجاني في غيره إذا لجأ إليه.

الرابعة: ﴿وإذْ جعلْنَا البيتَ مثَابةً لِلناسِ وأَمناً﴾ [البقرة: ١٢٥]: ومن الآيات البينات في هذا البيت، أنه لا يزال أبداً مهوى الأفئدة، ومجتمع الحجيج من مختلف الأمصار والأجناس والألسنة، حتى صارت إليه هذه الألوان المختلفة من الناس، أحالها لوناً واحداً، وأوردها مشرباً واحداً، وجمعها على أمر واحد!.

والمثابة مفعلة من ثاب القوم إلى الموضع: إذا رجعوا إليه فهم يثوبون إليه مثاباً ومثابة وثواباً. ومنه قيل: ثاب إليه عقله، إذا رجع إليه بعد عزوبه عنه(٦٢).

فمعنى قوله:﴿وإذْ جعلْنَا البيتَ مثَابةً لِلناسِ وأَمناً﴾ وإذ جعلنا البيت مرجعاً للناس ومعاذاً يأتونه كل عام ويرجعون إليه، فلا يقضون منه وطراً، يحجون ويثوبون، ثم يحجون ولا يقضون وطراً(٦٣).

قال تعالى: ﴿ ولِلهِ علَى الناسِ حج البيت منِ استَطَاع إِلَيه سبِيلاً ﴾ [آل عمران:٩٧]، أي ويجب الحج على المستطيع من هذه الأمة وفي هذا تعظيم للبيت أيما تعظيم، وما زال الناس من عهد إبراهيم إلى عهد محمد ﷺ يحجون البيت عملاً بسنة إبراهيم عليه السلام، جروا على هذا جيلاً بعد جيل لم يمنعهم من ذلك شركهم ولا عبادتهم للأوثان والأصنام، فهي آية متواترة على نسبة هذا البيت إلى إبراهيم عليه السلام (٦٤).

ومن الآيات القائمة فيه، أنه كان ولا يزال أبداً حرماً آمناً، يجد عنده من يلوذ به من إنسان وحيوان وطير، حتى الشجر والنبات، الأمن والسلامة، فلا تمتد إليه يد بأذى، ولا يناله أحد بمكروه، ولا ينفر الطير من الناس، ولا تتعرض ضواري السباع للصيود فيه، ولا تؤذي الوحوش بعضها في الحرم، حتى الكلاب لا تهيج الضباء، ولا تصطادها. والجارح يطلب الصيد فإذا دخل الحرم تركه. ومع افتتان العرب بحب الصيد إلا أنه لا يصيد فيه، وإذا رآه في الحرم تركه(٦٥). وقد سبق الحديث عن ذلك، فلا نعيده.

الخامسة: إمحاق الجمار: ومن آياته إمحاق الجمار وقلة ما يجتمع فيه من حصى الجمار على كثرة الرامي من لدن إبراهيم عليه السلام إلى يومنا هذا، وليس الموضع الذي ترمى فيه الجمرات مسيل ماء، ولا مهب رياح شديدة(٦٦).

السادسة: وأن الطيور تترك المرور فوق الكعبة: ولا تطير فوقها في الهواء، بل تنحرف عنها إذا وصلت إليها يميناً أو شمالاً، ولا يعلوه إلا ما به علة للاستشفاء. واعترض بأن العقاب علته لأخذ الحية، وقيل: إن الطير المهدر دمها تعلوه والحمام مع كثرته لا يعلوه، وبه جمع بين الكلامين(٦٧).

السابعة: وأن أي ركن من البيت وقع الغيث في مقابلته، كان الخصب فيما يليه من البلاد: فإذا وقع في مقابلة الركن اليماني، كان الخصب باليمن، وإذا كان في مقابلة الركن الشامي كان الخصب في الشام، وإذا عم البيت كان في جميع البلدان(٦٨).

الثامنة: الحطيم والملتزم والحجر الأسود: وما شاع بين العرب وتوارثوا خبره أباً عن جد من نزول الحجر الأسود من السماء على جبل أبي قبيس بمرأى إبراهيم(٦٩). روى النسائي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: ((الحجر الأسود من الجنة))(٧٠).

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم))(٧١).

وعنه عن النبي ﷺ قال: في الحجر: ((والله ليبعثَنه الله يوم الْقيامة له عينَان يبصر بهما، ولسانٌ ينْطقُ به يشْهد علَى من استَلَمه بحق)) (٧٢).

ولما أعادت قريش بناء الكعبة، ووصلوا في البناء إلى موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يضعه، وأخيراً اتفقوا على حكم محمد ﷺ، الذي بسط لهم رداءه، ووضع الحجر عليه، ثم قال: ((لتأخذ كل قبيلة بطرف))، ثم أمرهم برفعه، فرفعوه جميعاً حتى

وصلوا إلى مستوى وضعه، فأخذه بيده المباركة، ووضعه موضعه، وبنى عليه، وبهذا وقى الله قريشاً شر حرب ربما أفنتهم، وأصبح أحدوثة العرب في كل ناد ومجلس.

وكانت النفقة الطيبة قد ضاقت بقريش عن إتمام البيت على قواعد إبراهيم ﵇، فاضطروا إلى أن يقتطعوا منه قطعة من الجهة الشمالية، وبنوا على هذا الجزء الذي احتجزوه جداراً قصيراً للإعلام أنه من البيت، وهو ما يعرف بالحجر(٧٣).

التاسعة: الصفا والمروة، ونبع زمزم: قال القرطبي: قوله تعالى:) فيه آياتٌ بينَاتٌ (رفع بالابتداء أو بالصفة.وقرأ أهل مكة وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير (آيةٌ بينَةٌ) على التوحيد، يعني مقام إبراهيم وحده. قالوا أثر قدميه في المقام آية بينة. وفسر مجاهد مقام إبراهيم بالحرم كله؛ فذهب إلى أن من آيته الصفا والمروة والركن والمقام. والباقون بالجمع. أرادوا مقام إبراهيم والحجر الأسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها.

قال: أبو جعفر النحاس: من قرأ (آياتٌ بينَاتٌ) فقراءته أبين؛ لأن الصفا والمروة من الآيات(٧٤).

ومن آياته البينات زمزم في نبعها لِهاجر بهمز جبريل ﵇ الأرض بعقبه، وفي حفر عبد المطلب لها آخراً بعد دثورها، بتلك الرؤيا المشهورة، وبما نبع من الماء تحت خف ناقته في سفره، إلى منافرة قريش ومخاصمتها في أمر زمزم(٧٥). وكذلك نفع زمزم لمن شربه، (ماء زمزم لما شرب له، إنها طعام طعم، وشفا سقم)(٧٦)، وأنه يعظم ماؤها في الموسم، ويكثر كثرة خارقة للعادة في الآبار(٧٧).

العاشرة:وأن الله تعالى وضع الكعبة بواد غير ذي زرع: ومع ذلك فإن الثمرات تجبى إليه من كل مكان وعلى مدار السنة، ببركة دعوة إبراهيم ﵇:) ربنَا إِني أَسكنْتُ من ذُريتي بِواد غَيرِ ذي زرعٍ عنْد بيتك المحرمِ ربنَا لِيقيموا الصلاةَ فَاجعلْ أَفْئِدةً من الناسِ تهوِي إِلَيهم وارزقْهم من الثَمرات لَعلهم يشكُرون ([إبراهيم: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿أَولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إِلَيه ثمراتُ كُل شَيء رِزقًا من لَدنا ولَكن أَكْثَرهم لا يعلَمون﴾ [القصص:٥٧].

الحادية عشرة: تعجيل العقوبة لمن رامه بسوء: قال تعالى: ﴿ ومن يرِد فيه بِإِلحاد بِظُلْمٍ نُذقْه من عذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥].

قال الشوكاني: وقد اختلف في هذا الظلم ماذا هو؟ فقيل: هو الشرك. وقيل: الشرك والقتل، وقيل، صيد حيواناته وقطع أشجاره، وقيل: هو الحلف بالأيمان

الفاجرة، وقيل المراد: المعاصي فيه على العموم. وقيل المراد بهذه الآية أنه يعاقب بمجرد الإرادة للمعصية في ذلك المكان(٧٨).

وبعد أن ذكر ابن كثير الآثار الواردة في معنى ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ قال: وهذه الآثار وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد، ولكن هو أعم من ذلك، بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها، ولهذا لما هم أصحاب الفيل على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، أي دمرهم وجعلهم عبرة ونكالاً لكل من أراده بسوء(٧٩).

وذلك أن أبرهة الحبشي لما قاد الجيوش والفيل إلى مكة لتخريب الكعبة وعجزت قريش عن مقاومته فخرجت من مكة إلى الجبال ينظرون ما أبرهة فاعل بالبيت، وكان في جيش أبرهة فيل عظيم، فصار كلما وجهوه إلى الطريق المؤدي إلى مكة أبى وبرك، وإذا وجهوه إلى غير طريق مكة سار وجرى، ومع هذه الآية أصر أبرهة وجيشه على هدم الكعبة، فما كان إلا أن أرسل الله عليهم طيراً أبابيل، في مناقيرها وأرجلها حجارة صغار، فصارت ترميهم بهذه الحجارة، وليس كلهم أصابت، فكان من أصابه حجر تمزق جسمه ومات، وفروا هاربين يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك، ونكل الله بأبرهة وجيشه شر تنكيل، وقد ذكر الله سبحانه هذه القصة في سورة الفيل قال: ﴿ألم تَر كيفَ فَعلَ ربك بِأصحابِ الفيل* ألم يجعلْ كيدهم في تَضليل* وأرسلَ عليهم طيراً أبابيل* تَرميهم بِحجارةٍ من سجيل* فَجعلَهم كعصفٍ مأْكُول*﴾ [الفيل: ١-٥].

وقال رسول الله ﷺ: ((إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين)) (٨٠).

فهي لما أراد بها أبرهة وجنده سوءاً أهلكهم الله، ولما أراد رسول الله ﷺ وأصحابه بفتحها خيراً أُعينوا ونصروا، وقد كانت هذه الآية إرهاصاً بين يدي ميلاد نبينا محمد ﷺ، ودلالة على يمنه، وخيره، وبركته(٨١).

وصدق عبد المطلب عندما قال في مقابلته لأبرهة: "أنا رب الإبل، وللبيت رب يحميه"(٨٢).

الثانية عشرة: حرمة القتال فيه: قال تعالى: ﴿ ولا تُقَاتِلُوهم عنْدَ المسجِدِ الحرامِ حتى يقَاتِلُوكُم فيه فَإِن قَاتَلُوكُم فَاقْتُلُوهُم﴾ [البقرة: ١٩١].

قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿ ولا تُقَاتِلُوهم عنْد المسجِد الحرامِ ﴾ إلا أن يبدأوكم بالقتال فيه، فلكم حينئذ قتالهم وقتلهم دفعاً للصائل(٨٣).

وذهب عامة العلماء إلى أنه لا يجوز القتال في مكة وما يتبعها من الحرم، وهو صريح أمر النبي ﷺ في خطبة يوم الفتح(٨٤).

ففي الصحيحين واللفظ لمسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: ((إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها، فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال إلا الإذخر)) (٨٥).

قال ابن العربي: هذا عام في كل موضع، وقد قتل رسول الله ﷺ فيها أربعة نفر، منهم ابن خطل، تعلق بأستار الكعبة يوم الفتح، فأمر النبي ﷺ بقتله.

ووجه الحديث السابق بقوله: فإن قيل: قد قال النبي ﷺ: أن مكة حرمها الله فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وهذا نص. قلنا: هذا خبر عن الله تعالى بأنه لا يملكها كافر أبداً لأن القتال إنما يكون للكفار. فأما كافر يأوي إليها فلا تعصمه ولا قرة عين، وليس في قوة الحديث ولفظه أنه لا يقتل فيها(٨٦).

قال البوطي: "أما المشركون والملحدون فلا يتصور أن تقع المشكلة بالنسبة لقتالهم. فقد ثبت شرعاً أنه لا يجوز تمكين أحد يدين بغير الإسلام من الاستيطان بمكة، باتفاق الأئمة، بل ومن مجرد الدخول إليها عند الشافعية وكثير من المجتهدين، وذلك لقوله تعالى: ﴿إنما المشْرِكُون نجسٌ فَلا يقْربوا المسجِد الحرام بعد عامهم هذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، وعلى من فيها أن يقاتلوا هؤلاء قبل وصولهم إليها والدخول فيها، هذا إلا أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ حرمه من أن يدنس بإقامة أي كافر أو مشرك فيه، وذلك مظهر من مظاهر إعجاز هذا الدين"(٨٧).

وهكذا فإن مكة حرام منذ أن خلق الله السماوات والأرض، حتى أنه من جملة تحريمها اصطياد صيدها وتنفيره عن أوكاره، وحرمة قطع شجرها، وقلع حشيشها.

الخاتمة

إن أول بيت وضع للعبادة، هو بيت الله الحرام، وهو أول المساجد على وجه الأرض، وفي مناسبة الآية:) إِنَ أَولَ بيت وضع ِللناسِ (لما قبلها، جواب عن شبهة أخرى من شبه اليهود في إنكار نبوة محمد ﷺ، وذلك لأنه عليه السلام لما حول القبلة إلى الكعبة بأمر من الله تعالى: ﴿قَد نَرى تَقَلب وجهك في السماء، فَلَنُولينك قبلَةً تَرضاها فَول وجهك شَطْر المسجِد الحرامِ، وحيثُما كُنْتُم فَولوا وجوهكُم شَطْره﴾ [البقرة: ١٤٤]، طعن اليهود في نبوته، وقالوا: إن بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالاستقبال، وذلك لأنه وضع قبل الكعبة، وهو أرض المحشر وقبلة جملة الأنبياء، وإذا كان كذلك كان تحويل القبلة منه إلى الكعبة باطلاً. فأنزل الله تعالى:) إِنَ أَولَ بيت وضع ِللناسِ لَلذي بِبكةَ مباركاً﴾[آل عمران: ٩٦]، وبين سبحانه أن الكعبة أفضل من بيت المقدس وأشرف، فكان جعلها قبلة أولى(٨٨).

على أن المراد بالبيت هنا الحرم كله؛ لأن هذه الآيات موجودة في الحرم، ومقام إبراهيم ليس في البيت إنما هو خارج البيت. وحسب البيت شرفاً، أنه حرم آمن، ومثابة للناس، ومبارك، وهدى للعالمين، وما جاء عن رسول الله ﷺ- في حرمته وفضله- من أنه لا يسفك فيه دم، ولا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه(٨٩)، وأن قصده مكفر للذنوب، ماح للخطايا. وأن العبادة التي تؤدى فيه لا تؤدى في غيره، وأن استلام الحجر الأسود فيه رمز إلى مبايعة الله تعالى على إقامة دينه والإخلاص له، وأن الصلاة فيه بمائة ألف ضعف في غيره، دليل آخر على فضله وعلو منزلته.

وفيه آيات بينات تدل على ما ذكرنا من الشرف، والفضل وعلو المنزلة، وجماع هذه الآيات هي ما يسره الله لسكان الحرم وزائريه من طرق الخير، وما دفع عنهم من الأضرار، على حالة اتفق عليها سائر العرب، وقمعوا بها أنفسهم وشهواتهم، مع تكالبهم على إرضاء نفوسهم، وأعظمها الأمن، الذي وطن عليه نفوس جميع العرب في الجاهلية مع عدم تدينهم، فكان الرجل يلاقي قاتل أبيه في الحرم فلا يناله بسوء. وتواضع مثل هذا بين مختلف القبائل، ذات اختلاف الأنساب والعوائد والأديان، آية على أن الله تعالى وقر ذلك في نفوسهم. وكذلك تأمين وحشه مع افتتان العرب بحب الصيد. ومنها ما شاع بين العرب من قصم كل من رامه بسوء، وما انصراف الأحباش عنه بعد امتلاكهم جميع اليمن وتهامة إلا آية من آيات الله فيه.

ومنها انبثاق الماء فيه لإسماعيل حين أشرف على الهلاك، وافتداء الله تعالى إياه بذبح عظيم حين أراد أبوه إبراهيم عليه السلام قربانه.

ومنها ما شاع بين العرب وتوارثوا خبره أباً عن جد من نزول الحجر الأسود من السماء على جبل أبي قبيس بمرأى إبراهيم عليه السلام.

ومنها تيسير الرزق لساكنيه مع قحولة أرضه، وملوحة مائه. وما استمرار الحج، وزيادة الحجيج في كل عام إلا أعظم شاهد على ما ذكرنا، والله تعالى أعلم.

فهرس الهوامش

(١) ينظر: عبد الكريم الخطيب، التفسير القراني للقرآن، (بدون) ج:١، ص:٥٣٤.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية وعلم التفسير، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٩٧) ط٢،ج:٣، ص:٦١٠.

(٣) بكَرات: جمع بكرة، وهي الناقة القوية الفتية. ينظر: أحمد فارس، معجم المقاييس في اللغة، (بيروت: دار الفكر،١٩٩٨) ط٢، ص: ١٤٨.

(٤) خطم: جمع خطام، وهو الزمام الذي تشد به الناقة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، دار المعرفة، (بدون) باب الخاء، ج:٢، ص:١٢٠٣.

(٥) أزر: جمع إزار، وهو ما يستر به أسفل الجسم من الوسط. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، باب الهمزة، ج:١، ص:٧١.

(٦) أردية: جمع رداء، ما يوضع على الكتفين ويستر به النصف الأعلى. ينظر: المصدر السابق، باب الهمزة، ج:١، ص:٧١.

(٧) النمار: جمع نمرة: الكساء المخطط. ينظر: أحمد فارس، معجم المقاييس، ص:١٠٤٩.

(٨) أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق أحمد شاكر، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٧) ط١، ج:١، ص:٢٣٢.

(٩) محمد شكري الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤) ط١، ج:٢، ص: ٢٢١، ٢٢٢.

(١٠) عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (بدون- منشورات محمد علي بيضون) ج:١، ص:٤٧٤.

(١١) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٥٤) ح:٥٢٠، ج:٣، ص:٥.

(١٢) النسائي، سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥) برقم ٧٧٢، ج:١، ص: ٢٥٦.

(١٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ٥، برقم ٥٢٠، ج:٣، ص:٥. ووافقه البخاري، ج:٦، ص:٣٣٦٦، والنسائي، ج:٢، ص:٣٢.

(١٤) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون، بدون) ج:٣، ص:١٥.

(١٥) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣) ج:٤، ص:٨٩.

(١٦) لفظ الحديث عند البخاري: "إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس" ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، برقم ١٠٤، (بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧) ط١، ج:١، ص:٥١.

(١٧) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٩٩٧) ط٢، ج:٣، ص:٢٩٦.

(١٨) البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزقون، ح:٣٣٦٤. [فتح الباري، ج:٦، ص: ٤٨٨-٤٩٠].

(١٩) محمد محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، (دمشق: دار القلم،١٩٩٢)ط٢، ج:١، ص:١٢٥.

(٢٠) كما في الآية: ٢٦ من سورة الحج.

(٢١) إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٦٦) ج:١، ص: ١٦٣ و ٢٩٩.

(٢٢) أحمد بن حنبل، المسند، ج:١، ص: ٢٣٢.

(٢٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج:١، ص: ١١٩ و١٣٨.

(٢٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٣، ص:١٣.

(٢٥) الشوكاني، فتح القدير، ج:١، ص: ٤٦٢.

(٢٦) ينظر: أبو السعود محمد بن محمد الهادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٤) ط٤، ج:١، ص:٦٠.

(٢٧) ينظر: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: المكتب الإسلامي) ج:١، ص:٤٢٥.

(٢٨) الشوكاني، فتح القدير، ج:٢، ص:١٩٦.

(٢٩) ابن الجوزي، زاد المسير، ج:١، ص: ٤٢٧.

(٣٠) الرازي، التفسير الكبير، ج:٣، ص:٣٠٢.

(٣١) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج:١، ص: ٤٧٦.

(٣٢) إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٣) ج:١، ص:٣٦٣.

(٣٣) علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٨) ط٤، ص:٩٨ و٩٩.

(٣٤) أحمد بن حنبل، المسند، مسند المكثرين من الصحابة، ابن عمر، رقم ٤٤٦٢. وعند الترمذي برقم ٨٠٣: عن ابنِ عباسٍ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ نَزَلَ الْحجر الأَسود من الْجنة وهو أَشَدّ بياضا من اللبنِ فَسودتْه خَطَايا بني آدم قَالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ *َلم يزاحم علَيه فَقَالَ إِن أَفْعلْ فَإِني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقُولُ إِن مسحهما كَفارةٌ لِلْخَطَايا وسمعتُه يقُولُ من طَافَ بِهذَا الْبيت أُسبوعا فَأَحصاه كَان كَعتْق رقَبة وسمعتُه يقُولُ لا يضع قَدما ولا يرفَع أُخْرى إِلا حط الله عنْه خَطيئَةً وكَتَب لَه بِها حسنَةً قَالَ أَبو عيسى وروى حماد بن زيد عن عطَاء بنِ السائِبِ عنِ ابنِ عبيد بنِ علي.

(٣٥) البخاري، صحيح البخاري، برقم: ١١٣٤، ج:١، ص:٣٩٨.

(٣٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٣، ص:١٦.

(٣٧) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨) ط١، ج:٤، ص:٦.

(٣٨) محمد بن عبدالله بن العربي، أحكام القرآن، (دار الفكر) ج:١، ص:٣٧١.

(٣٩) ينظر: المراغي، تفسير المراغي، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٩٨) ط١، ج:٤، ص:٧،٦. وأ.د.وهبة الزحيلي، التفسير المنير (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨) ج:٣، ص:١٣،١٢.

(٤٠) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٣، ص:١٦.

(٤١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (دار الفكر) ج:٣، ص:١٤، ١٥.

(٤٢) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج:١، ص:٤٧٥.

(٤٣) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥) ط١، ج:١، ص:٤٩٧.

(٤٤) الطبري، جامع البيان، ج:٣، ص:١٥.

(٤٥) الرازي، التفسير الكبير، ج:٣، ص:٣٠٢.

(٤٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٣، ص:١٣.

(٤٧) للحديث الذي رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ج:٣، ص٥. ينظر: ص: ٥ من البحث.

(٤٨) الطبري، جامع البيان، ج:٣، ص:١٢.

(٤٩) ابن العربي، أحكام القرآن، ج:١، ص:٣٧٢.

(٥٠) الطبري، جامع البيان، ج:١، ص:٦٨٢.

(٥١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، برقم ٣٩٣ ج:١، ص:١٥٧.

(٥٢) الألوسي، روح المعاني، ج:٢، ص:٢٢٣.

(٥٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج:١، ص:٤٦٧، ٤٧٧.

(٥٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج:١، ص:٦١.

(٥٥) الطبري، جامع البيان، ج:٣، ص:١٩.

(٥٦) ابن الجوزي، زاد المسير، ج:١، ص:٤٢٧.

(٥٧) ينظر: عماد الدين بن محمد الطبري الكياهراسي، أحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥) ط٢، ج:١، ص:٢٩٢، ٢٩٣، وأحكام القرآن لابن العربي، ج:١، ص:٣٧٣، وأحكام القرآن للجصاص، ج:١٢، ص:٢٧، ٢٨.

(٥٨) الطبري، جامع البيان، ج:٣، ص:١٧.

(٥٩) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب فتح مكة، رقم٨٦، ج:٣، ص:١٤٠٥، ورقم ١٧٨٠، مطولاً، وأخرجه أبو داود في السنن، ج:٣، ص:١٦٢.

(٦٠) أخرجه البخاري في المغازي، باب أين ركز الرسول ﷺ رايته يوم الفتح برقم ٤٨ (مطولاً)، ج:٤، ص:١٥٥٩.

(٦١) ينظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج:٣، ص:١٤.

(٦٢) ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج:١، ص:٢٠١.

(٦٣) الطبري، جامع البيان، ج:١، ص:٦٧٧، ٦٧٨.

(٦٤) المراغي، تفسير المراغي، ج:٤، ص:٨.

(٦٥) ينظر: الخازن، لباب التأويل، ج:١، ص:٤٩٧.

(٦٦) ينظر: الجصاص، أحكام القرآن، ج:٢، ص:٢٧، و الرازي، التفسير الكبير، ج:٣، ص:٢٩٨.

(٦٧) ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج:٢، ص:٢٢٢.

(٦٨) ينظر: المصدر السابق، وابن عطية، المحرر الوجيز، ج:١، ص:٤٧٦.

(٦٩) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:٣، ص:١٧.

(٧٠) النسائي، سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب استلام الحجر الأسود، ج:٥، ص:٢٣٣.

(٧١) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد، (بيروت: دار إحياء التراث) كتاب الحج، باب ما جاء في الحجر الأسود، رقم٨٨٤، وأخرجه النسائي في مناسك الحج، برقم٢٨٧٠.

(٧٢) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الحج، باب فضل الحجر الأسود والركن والمقام، رقم٩٦١.

(٧٣) ينظر: أبو شهبة، السيرة النبوية، ج:١، ص:٢٢٩.

(٧٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج:٤، ص:٨٩، ٩٠.

(٧٥) ينظر: أبو شهبة، السيرة النبوية، ج:١، ص:١١١.

(٧٦) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب الشرب من زمزم -مختصراً-، ج:٣، ص:١٦٠١، وأخرجه البيهقي مطولاً برقم٩٤٤١، ج:٥، ص:١٤٧.

(٧٧) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج:١، ص:٤٧٦.

(٧٨) الشوكاني، فتح القدير، ج:٣، ص:٦٠٩.

(٧٩) إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: طبعة دار إحياء التراث، ١٩٨٥) ط١، ج:٣، ص:٣٥٧.

(٨٠) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب من اقتاد بالحجر، ج:٦، ص:٢٥٢٢.

(٨١) ينظر: أبو شهبه، السيرة النبوية، ج:١، ص:١٦٩.

(٨٢) المصدر السابق، ج:١، ص:١٦٨.

(٨٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج:١، ص:٣٥٥.

(٨٤) ينظر: شمس الدين السرخسي، المبسوط (بيروت: دارالمعرفة،١٩٩٣) ج:١٠، ص:٤٠، ومحمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٨٥)، ص: ٤٠٦.

(٨٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد، ج:٢، ص: ٩٨٦، رقم١٠٣٢٧، وفي كتاب الحج، باب٨٢: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها: برقم١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥. وأخرجه البخاري، ج:١، ص:١٠٤، عن ليث به.

(٨٦) ينظر: ابن العربي، أحكام القرآن: ج:٢، ص:٩٠٢.

(٨٧) البوطي، فقه السيرة، ص:٤٠٦، ٤٠٧.

(٨٨) ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج:٣، ص:٢٩٥.

(٨٩) ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم برقم ١٠٤، ج:١، ص:٥١. ونص الحديث كالآتي: ثنا عبد الله بن يوسف قال: ثني الليث قال: ثني سعيد عن أبي شريح أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة، ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبي ﷺ في الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي، حين تكلم به حمد الله وأثنى عليه ثم قال إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا إن الله قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس.

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت: المكتب الإسلامي، بدون).
- ابن حنبل، أحمد، المسند، تحقيق أحمد شاكر، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٧) ط١.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون، بدون).
- ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، (بيروت: دار الفكر، بدون).
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (منشورات محمد علي بيضون، بدون).
- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨) ط٢.
- ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٣).
- ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٦٦).
- ابن منظور، لسان العرب، (القاهرة: دار المعارف، بدون).
- أبو السعود، محمد بن محمد الهادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت: إحياء التراث العربي، ١٩٩٤) ط٤.
- أبو شهبة محمد محمد، السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، (دمشق: دار القلم،١٩٩٢) ط٢.
- الأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة، (بدون).
- الألوسي، محمد، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، (بيروت: دارالكتب العلمية، ١٩٩٤) ط١.
- الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب، (بدون).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧) ط١.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦).
- البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (مكة: دار الباز،١٩٩٤) ط١.
- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد، (بيروت: دار إحياء التراث، بدون).
- الجصاص، أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤) ط١.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥) ط١.
- خربوطلي، علي حسن، تاريخ الكعبة،(بيروت: دار الجيل، ١٩٧٦).
- الخطيب، عبد الكريم،، التفسير القرآني، (بدون).
- داود، جرجس، أديان العرب قبل الإسلام، (بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٨٨) ط٢.
- دحلان، أحمد زيني، تاريخ مكة المشرفة، (القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥ هـ).
- الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨).
- سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ العرب قبل الإسلام، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، بدون).
- السرخسي، شمس الدين، المبسوط، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٣).
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، (بيروت: دار المعرفة، بدون).

- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (دار الفكر، بدون).
- الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، (بيروت: دار الكتب العربي، 1985) ط١.
- الفخر الرازي، التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧) ط٢.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985) ط٢.
- محمد، عبد الغني عبد الرحمن، مكة أم القرى، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٠) ط١.
- المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨) ط١.
- النسائي، سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٥٤) ط١.
- الواحدي، علي بن أحمد، أسباب النزول، (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٨) ط٤.
